احترام حقوق الآخرين ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية من منظور القرآن الكريم والروايات الشريفة

علي شمران راهي الزاملي
طالب دكتوراه ، قسم علوم القرآن ، جامعة الأديان والمذاهب ، قم ، إيران
Alzamilyali79@gmail.com
الدكتور سيد كاظم سيد باقري
أستاذ مشارك ، معهد بحوث الثقافة والفكر الإسلامي
Sbaqeri86@yahoo.com
الدكتور محمد شيرين كار موحد
أستاذ مساعد ، قسم علوم القرآن ، جامعة الأديان والمذاهب ، قم ، إيران
Movahed1010@gmail.com

Respecting the rights of others and its role in achieving social justice From the perspective of the Holy Quran and the narrations

Ali Shamran Rahi Al-Zamili
University of Religions and Sects, Department of Quranic Sciences
Dr. Seyed Kazem SeyedBaqri
Associate Professor, Institute for Research in Islamic Culture and Thought
Dr. Mohammad Shirin Kar Movahed
University of Religions and Sects, Department of Quranic Sciences

الملخص:-

للعدالة الاجتماعية أهمية كبيرة في الفكر الديني و يمكن استخدامها كمعيار في كل سلوك و كلام و تخطيط واتخاذ القرار، و هي المبدأ الذي لا يمكن تجاهله تحت أي ظرف من الظروف.

فقد سعى الباحث في هذا المقال إلى دراسة احترام حقوق الآخرين ودوره في تحقيق العدالة الاجتماعية من منظور القرآن الكريم وأحاديث أهل البيت عليهم السلام.

وانطلاقاً من هذا يتم تنظيم السؤال الرئيسي للمقال و يحاول البحث في العلاقة بين احترام حقوق الآخرين والعدالة الاجتماعية و تم التأكيد في فرضية البحث على أن دور الإسلام في ترسيخ قواعد السلام الاجتماعي والتعايش السلمي مهم، وهناك حقوق عدة في هذا الصدد، مثل الاعتراف بحقوق غير المسلمين وحرية الحوار و التفاهم والتسامح و الإحسان والمساواة التي يلتزم بها كل منها، سواء بين المواطنين أو الحكام، لها دور لا يمكن إنكاره في تحقيق العدالة الاجتماعية وقد تم حل هذه المشكلة بالمنهج التحليلي وبالرجوع إلى النصوص الدينية والقرآن والأحاديث.

الكلمات المفتاحية: الاحترام العدالة الاجتماعية، حقوق الآخرين، القرآن الكريم، الروايات.

Abstract:-

Social justice is of great importance in religious thought and can be used as a criterion in all behaviour, speech, planning and decision-making, a principle that cannot be ignored under any circumstances. In this article, he sought to study respect for the rights of others and his role in achieving social justice from the perspective of the Holy Koran and the conversations of the people of the house. From this point of view, the main question of the article is organized and attempts to investigate the relationship between respect for the rights of others and social justice. and there are several rights in this regard, such as recognition of the rights of non-Muslims, freedom of dialogue, understanding, tolerance, charity and equality to which each adheres Both citizens and rulers have an undeniable role to play in the achievement of social justice. This problem has been solved through an analytical descriptive approach and by reference to religious texts, the Qur 'an and conversations.

Keywords: social justice, rights of others, Holy Quran, narratives.

المقدمة:

لقد شغلت حقوق الإنسان و حرياته الأساسية مكانة مهمة في التشريع الإسلامي، إذ ان أساس هذه الحقوق يوجد في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة ولم تقتصر الأسس والقواعد التي ارساها الإسلام في بناء حقوق الإنسان وحرياته وحمايتها على حق معين دون سواه، بل شملت جميع الحقوق كالمساواة، حرية الاعتقاد الديني، حرية الحوار والتفاهم، التسامح، العدل والإحسان وغيرها. إن الغرض من بحثنا الموسوم، باحترام حقوق الآخرين ودورها في تحقيق العدالة الاجتماعية من منظار القرآن الكريم والروايات، هو تبين أثر احترام حقوق الآخرين في تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال الوقوف على الشواهد القرآنية والاحاديث والروايات ودراستها دراسة تحليلية وتعتبر المساواة المبدأ الذي تستند إليه جميع الحقوق والحريات في الوقت الحاضر والأساس الذي يرتكز عليه التعايش السلمي بين الناس القائم على الاحترام المتبادل ورعاية حقوق وحريات كل منهما الآخر.

لقد وضع القرآن الكريم حجر الأساس للتعايش السلمي والعدالة الاجتماعية من خلال حق حرية الاعتقاد الديني والتحاور بين الاديان المختلفة للاعتراف بالآخر وحقوقه في الاختلاف وفي الحفاظ بذاتيته وهويته، وهذا التفاهم والتحاور بين الناس انما يكون بطرائق ثلاث، الحكمة، الموعظة والمجادلة بالحسنى كما قال جل ذكره ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ٢٥).

فبهذه تتحصل الفائدة الحقيقية من الجدال والحوار وتلاقح الافكار ليكون التأثير أعظم والفائدة أعم.

ومن المبادئ القرآنية الأخلاقية التي لعبت دورا أساسيا تحقيق العدالة الاجتماعية وأرست قواعد التعايش السلمي هو مبدأ التسامح وقد جاء بمعان عديدة منها العفو والحلم والصفح الجميل لأهمية البالغة في بناء مجتمع تسود العدالة و المحبة والألفة بين أفراده ولا ننسى الأهمية البالغة والأثر العظيم للعدل والاحسان لكونهما دعامة أساسية من دعائم تحقيق العدالة الاجتماعية وقد تم الاعتماد على المنهج التحليلي وبالرجوع إلى النصوص الدينية والقرآن والاحاديث.

إن احترام حقوق الآخرين يعد من أهم المبادئ التي ينادي بها القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، حيث يعتبر من الأسس التي تُبنى عليها العدالة الاجتماعية في المجتمع الإسلامي. وظهر للباحث حقيقة أن تحقيق العدالة الاجتماعية والتعايش السلمي مع الآخر من خلال التأكيد على حقوقه في الحياة وتحقيقها بالاحترام المتبادل والاعتراف بالآخر وعدم الاختلاف معه، مهما كان جنسه عرقه ومعتقده.

المبحث الأول

العدالة الاجتماعية

العدالة الاجتماعية تُعنى بتوزيع الحقوق والواجبات بشكل متساوٍ و علي أساس الجدارة والاستحقاق بين أفراد المجتمع، مع ضمان تكافؤ الفرص والحد من التمييز و القرآن الكريم هو الدستور والنظم الخالدة للإنسانية جمعاء ويتميز بشموله وأحاطته لكافة شؤون الحياة وقد وضع الأسس العامة لعلاقة الفرد بنظيره الآخر وبالمجتمع بصورة عامة وحدد لكل فرد حقوقه وواجباته للارتقاء بها ومن أجل تعزيز المبادئ والقواعد المنظمة للسلوك العام ونشر المحبة والمودة والوئام في المجتمع الإنساني فلما كان القرآن الكريم كتاب الله المنزل على نبينا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والرسل فإنه من الطبيعي أن يحمل في مضامينه كل ما يخدم الإنسان ويحقق له معاني السمو والارتقاء للعيش الكريم مع الآخر والتواصل معه بعيدا عن الحقد والضغينة والاقتتال، فيحقق ذاته وفي المقابل يضمن للآخر حريته في التعبير والتنفيس عن معتقداته تأكيدا بأنهم متساوون في الخلق، والاختلاف حاصل في تقواهم لقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣) وقد كرم الله عز وجل الإنسان في أول خلقه على سائر المخلوقات، فلما خلق الله جل جلاله آدم عليه السلام وأسجد له ملائكته بنص كتابه الكريم: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ (الإسراء: ٦١). وأورثه الله وذريته من بعده إلى عمارة الأرض بمنهج إلهي بنص كتابه الكريم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠).

وفي الخبر عن رسول الله ﷺ عندما نظر إلى بيت الله العتيق الكعبة المشرفة إنه قال: (ما

أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤْمِنُ أعظم حرمة عند الله منك) (الترمذي، ١٩٩٦: ج٤، ص٣٧٨)، وهذا يدل على عظمة الإنسان ومقامه الشامخ في عالم التكوين والتشريع ووفق هذا الهدف السامي فقد كرم الله بني أدم على سائر مخلوقاته وبنص كتابه الكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ٧٠).

ومن تكريمه سبحانه و تعالى للإنسان ما وهبه من العقل، وهو ميزان للبشرية يميزون به بين الحق والباطل وبين الصلاح والفساد وبين الخير والشر، وهب الإنسان الحرية والإرادة الحرة لاختيار ما يشاء وذلك بفطرة الله التي فطر بها سائر خلقه كما في قوله تعالى: و﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣). وقال جل شأنه: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٩٩).

وأكد الرسول الكريم محمد ﷺ احترام النفس المحترمة ومراعاة كرامتها، ففي الخبر أن النبي الكريم ﷺ كان جالسا فمرت به جنازة فقام، فقيل له يا رسول الله: إنها جنازة يهودي؟! فقال ﷺ: (أليست نفسا) (البخاري، ١٩٨٧م: ج١، ص٤٤١)، فالرسول ﷺ يقف احتراما لهذه النفس التي توفاها الله بغض النظر عن دين المتوفى والاحترام لتلك النفس التي كرمها الله على سائر خلقه وفي الحديث أيضا قوله ﷺ: (من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما) (ابن ماجه، د.ت: ج٢، ص٨٩٦). أي من قتل ذميا من أهل الذمة لم يشم ريح الجنة لأنه لا يستحق ذلك، بل إن السنة النبوية نصت على عدم التعرض لأهل الذمة بالسبب والشمام فضلا عن القتل الذي عده الشارع المقدس من الجرائم التي تدخله النار، والذمة: الأمان، ومنها سمي المعاهد ذميا، لأنه أمن على ماله ودمه للجزية (ابن فارس، ١٩٧٩م: ج٢، ص٣٤٦، ذمم) ومعناه أن واحدا من المسلمين إذا أمن كافرا حرم على عامة المسلمين دمه، وإن كان هذا المجير أدناهم، مثل أن يكون عبداً أو أمة، أو نحو ذلك، وكذلك قوله ﷺ: (من قذف ذميا حد له يوم القيامة بسياط من نار) (الطبراني، د.ت: ج٢٢، ص٥٧)، فهذا من يوليه باللسان فما بالك بمن يؤذيه باليد. وفي الحديث أيضا قوله ﷺ: (الجنة حرام على من قتل ذميا أو ظلمه أو حمله ما لا يطيق وأنا حجيج الذمي فكيف المؤمن) (ابن حبيب، ١٤١٥هـ: ص٢٩٢).

وقد جعل الإمام علي عليه السلام مبدا (حق الإخوان والمحاماة عليهم ومجاورة الناس بالحسنى)

ضمن قواعد الإسلام التي نقلها لنا الصحابي الجليل كميل بن زياد (رضي الله عنه) وقوله عليه السلام: (الإخوان والناس) (الحراني، ١٤٠٤هـ: ص١٣٧). دليل أن الإمام لم يكن يميز بين إنسان وآخر من جهة دينه أو معتقده، وإنما الكلام على عمومه مطلق لعامة الناس حيث قال عليه السلام: (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) (ابن أبي الحديد، د.ت: ص٣٢).

وجعل الإمام أبو الحسن الرضا عليه السلام مدارة الناس من السنة النبوية المباركة التي سار عليها سائر الأئمة عليهم السلام خلفا بعد خلف وأوصوا بها سائر المؤمنين، إذ يقول: (لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه وسنة نبيه وسنة من وليه. فأما السنة من ربه فكتمان السر. وأما السنة من نبيه فمداراة الناس. وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء) (الحراني، ١٤٠٤هـ: ص٤٣٧). فمداراة الناس وقضاء حوائجهم من سنة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ونهج أئمتنا عليهم السلام، فكان ذلك من سمات المؤمن الحق الذي جعل من الإسلام نهجا وطريقاً ينهجه، ولا ننسى أن قضاء حوائج الناس ينتج مجتمعا متماسكا سليما معافا خاليا من الأمراض المجتمعية تربطه أسس المودة والتكافل الاجتماعي والتعاون بين أفراده، وهذا يغرس ويعزز في نفوس الناس مودة تضفي بظلالها على المجتمع كله.

المبحث الثاني

دور الإسلام في إرساء العدالة الاجتماعية

إن دين الإسلام يقوم على التسامح واحترام حقوق الآخرين و اعتمد هذا الدين مبدأ اليسر و الحق و العدالة منذ ظهوره، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه) (البخاري، ١٩٨٧م: ح ٣٩). وفي هذا الدين من السماحة والسهولة ومن اليسر والرحمة ما يتوافق مع عالميته وخلوده وهو ما يجعله صالحا لكل زمان ومكان لسائر الأمم والشعوب، فالسماحة تواءم مع عالمية الإسلام، وخطاب الدعوة في القرآن والسنة يؤكد ذلك حيث جاءت النصوص تدعو الناس أن ينضموا تحت لواء واحد وأن يتنافسوا على معيار الإسلام الخالد وهو التقوى (الحجرات: ١٣). لقد جاء الإسلام في فترة جاهلية

أهدرت كرامة الإنسان وحريته فأعاد الإسلام بناء الإنسان من جديد ونظم علاقته بربه وعلاقته بالآخرين. ولقد وضع الإسلام الضوابط الكاملة لجميع ميادين الحياة في علاقة المرء بربه وفي علاقته ببني جنسه وفي علاقته بسائر المخلوقات وجاءت جميع هذه الضوابط متوافقة مع فطرة الإنسان وعقله، فيها من التيسير والسماحة والمرونة.

إن من يقرأ القرآن الكريم يعلم حقيقة السماحة في الإسلام في أعظم قضية جاء بها الإسلام وهي قضية التوحيد فيعرض لها القرآن بأسلوب سمح سهل يدركه كل عاقل ويستدل على حقائق الإيمان بما يحسه الناس ويدركونه بأيسر طريق. وعبر تاريخ دولة الإسلام كان يعيش في داخلها غير المسلمين في مراحل قوتها وضعفها، فلم يجبروا على ترك معتقداتهم أو يكرهوا على الدخول في الإسلام، والقاعدة العظمى في الإسلام أن لا إكراه في الدين، ولذا فقد عاش الذميون وغيرهم في كنف دولة الإسلام دون أن يتعرض أحد لعقائدهم وديانـاتهم (ابن حميد، ١٤٢٤هـ: ص٣٠) و حتى حقوقهم تم احترامها، على الرغم من أن المسلمين يعتقدون أن حق الدين معهم.

إن الإسلام لم يقم على اضطهاد مخالفيه أو مصادرة حقوقهم أو تحويلهم بالكره عن عقائدهم أو المساس الجائر لأموالهم وأعراضهم ودمائهم وتاريخ الإسلام في هذا المجال أنصع تاريخ على وجه الأرض (الغزالي، ١٤٠٩هـ: ص ٦). ومن المقرر عند الفقهاء أنه لو أكره أحد على الإسلام فإنه لا يصح إسلامه. قال في المغني: وإذا أكره على الإسلام من لا يجوز إكراهه كالذمي والمستأمن فأسلم لم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعا (ابن قدامة، ١٩٩٧م: ج١٢، ص٢٩١)، ولذلك فإنه إذا عاد إلى دينه بعد زوال الإكراه لم يحكم بردته، ولا يجوز قتله ولا إكراهه على الإسلام، ونقل ابن قدامة إجماع أهل العلم على أن الذمي إذا أقام على ما عوهد عليه والمستأمن لا يجوز نقض عهده ولا إكراهه على ما لم يلتزمه (ابن قدامة، ١٩٩٧م: ص٢٩١).

وشرع الإسلام مواساة غير المسلمين بالمال عند الحاجة فشرع للمسلم أن يعطيهم من الصدقة ويهدى إليهم ويقبل هديتهم ويواسيهم عند المصيبة ويعود مريضهم ويهنئهم بما تشرع فيه التهنئة كالتهنئة بالمولود والزواج وينـاديهم بأسمائهم المحببة إليهم تأليفا لهم (اللحيدان، ١٤٢٠هـ: ص١٤٨)، فأي امتياز وتمتع للأجنبي في نظام أو قانون مثل الإسلام.

فلم تكن نظرية بل كانت سلوكا واقعيا في حياة المسلمين وفي صلاتهم وعلاقاتهم بغيرهم وهي جزء لا يتجزأ من العقيدة. وإن الخروج على العهد وعدم الالتزام بها وتطبيقها يعد خيانة والله لا يحب الخائنين (الفرجاني، ١٩٨٨م: ص ٨٧). فأي تعايش وتساكن واعتراف أفضل مما جاءت به الشريعة الإسلامية (العمري، ١٩٨٣م: ص٧).

المبحث الثالث

دور التعامل القانوني مع الآخرين في تحقيق العدالة الاجتماعية

ومن القضايا التي لها دور أساس في تحقيق العدالة الاجتماعية في المنظور الإسلامي، والتي تم التأكيد عليها، احترام حقوق الآخرين، وخاصة غير المسلمين و اختلاف البشر في شرائعهم هو أيضا واقع بمشيئة الله المرتبطة بحكمته، يقول جل شأنه: و﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ (المائدة: ٤). وفي ذلك يقول الطبري: (للتوراة شريعة، وللإنجيل شريعة، وللقرآن شريعة، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء بلاء، ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، ولكن الدين الواحد الذي لا يقبل غيره التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به الرسل) (الطبري، ١٤٠٩هـ: ج٨، ص٤٨٣).

وفي موضع آخر يقول: (الدين واحد، والشريعة مختلفة) (الطبري، ١٤٠٩هـ: ج٨، ص٤٩٤) وهذا ما أكده ابن كثير في تفسيره لهذه الآية المباركة بقوله: (ثم هذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان، باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد) (ابن كثير، ١٤٢٠هـ: ج٣، ص١٢٩). وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ * إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ (هود: ١١٨-١١٩).

وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى المتقدم: (أي: ولا يزال الخلف بين الناس في أديانهم واعتقادات مللهم ونحلهم ومذاهبهم وأراءهم) (ابن كثير، ١٤٢٠هـ: ج٤، ص٣٦١).

ولما كان الاختلاف والتعدد سنة الله في خلقه، فإن الذي يسعى لإلغاء هذا التعدد والتنوع، فإنما يروم محالاً ويطلب ممتنعا. فالقرآن الكريم قد وضع اللبنات الأساسية للتعايش

السلمي في المجتمع الإنساني، فكان المصدر الذي ينبع منه أسس التفاهم والتحاور بين الأديان المختلفة على أساس أن الحوار بين الحضارات إنما ينبني على فرضية مضمرة بأن جميع الحضارات الكبرى المعاصرة هي في أصلها تعترف بالآخر وحقوقه في الاختلاف وفي الاحتفاظ بذاتيته الثقافية، ونقر بخصوصيته الحضارية وضرورة التعايش السلمي (السنيدي، ١٤٣٠هـ: ج١، ص٤٣١)، والحرية في منظور القرآن الكريم في أيسر تعريفاتها في إحدى المفاهيم العقدية الأساسية التي تناولتها الآيات القرآنية بشكل كبير وبألفاظ متعددة تؤدي إلى معنى متقارب يؤكد وجود إرادة حرة عند الإنسان يتصرف فيها باختياره ويؤمن بالدين عن طريق الاعتقاد والإيمان من غير إكراه أو جبر (معاش، ١٤٢٠هـ: ج١، ص٨).

وقد نبه القرآن الكريم على هذا المعنى بقوله: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦) وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ (الإسراء: ٥٤)، ذكر الطبري في تفسيره لهذه الآية (إنما أرسلناك إليهم لتبلغهم رسالاتنا و بأيدينا صرفهم وتدبيرهم) (الطبري، ١٤٠٩هـ: ج١٤، ص٦٢٥)، وهذا ما جاء به القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (الحج: ١٧). فالله وحده جل وعلا يفصل بين خلقه وذلك في يوم الفصل يوم القيامة فيظهر المحق من المبطل، فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت، ولا يجمعهم في موطن واحد.... فهو عالم بما يستحقه كل منهم، فلا يجري في ذلك الفصل حيف، ولا يغيب عن علمه شيء (الجاوي، ١٤١٧هـ: ج٢، ص٦٨).

وقد جاء في القرآن الكريم أنه ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ٨٥) وبالطبع التعددية الدينية غير مقبولة ولكن وعلى الصعيد السياسي والاجتماعي، عاش غير المسلمين في سلام إلى جانب المسلمين، وتمتعوا بجميع حقوقهم السياسية والاجتماعية في ظل العدالة الاجتماعية و يوكد بان من عمل عملا صالحا في دينه فله أجره عند الله قال عز ثناؤه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَىٰ وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة: ٦٢). ولعل هذا يكون السبب الأول والأهم في انتشار الدين الإسلامي إبان حروب الفتح حيث دخل الناس إلى

الإسلام رغبة لا رهبة. فكانت لأخلاق المسلمين الفاتحين وتسامحهم السبب الأول في اتساع فتوحاتهم وفي سهولة اقتناع كثير من الأمم بالدين الإسلامي الحنيف. وفي ضوء ذلك يمكننا الاستنتاج أن الدين الإسلامي الذي أعطى حرية اعتناق الدين فمن باب أولى أن يعطي حرية سلك أي طريق يوصل إلى ذلك الدين الحنيف ما دامت تلك الطرق تلتقي عند ثوابت الإسلام الرئيسة وأصوله الجليلة وفي مقدمتها الإيمان بالتوحيد وبالنبوة وبالقرآن وبالمعاد والإيمان بالملائكة ومودة أهل بيت النبوة عليهم السلام إلى غير ذلك من مبادئ الإسلام وثوابته، وحرية المعتقد تساعد في بناء مجتمع متسامح متفاهم تسوده مبادئ احترام آراء الآخرين بممارسة طقوسهم والتنفيس عن قناعاتهم الدينية والمذهبية بعيدا عن التعصب وإلغاء الآخر.

ويمكن اعتبار صحيفة المدينة التي نظمت حياة المجتمع المدني الفتي بعد الهجرة بوثيقة أو صحيفة دستورية كفلت الحقوق والحريات لكل أبناء المدينة رغم اختلاف دينهم واصولهم القبلية حيث اشتملت بنود عامة اعطت للأرض التي يعيش بها الناس حرمة فقد جاء في احد بنودها (ان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة) (اليوسفي، ١٤١٧هـ: ج٢، ص٦٤)، والحرام هو ما لا يحل انتهاكه، فلا يقطع شجرها ولا يقتل صيدها، وهذا البند يضمن الامن للمدينة ويضع حدا للاضطرابات والمشاكل التي تهدد السلم والامان. وجاء في البنود الخاصة بالمسلمين (المؤمنون امة واحدة من دون الناس) (ابن هشام، ١٩٩٠: ج١، ص٥٠٢) وهذا البند يدعو إلى التعايش السلمي و ترك الخلافات والعصبية القبلي والتخلص من كل الروابط التي تحول دون تحقيقي الوحدة الاجتماعية.

المبحث الرابع

دور حرية الحوار و التفاهم في تحقيق العدالة الاجتماعية

الحوار والتفاهم أداة لتحقيق العدالة، من خلال التفاوض والتفاهم، يمكن معالجة القضايا الاجتماعية والاقتصادية بطريقة تعكس روح العدل. العدالة الاجتماعية تحتاج إلى آليات للحوار والتفاهم من أجل صياغة سياسات عادلة تعبر عن احتياجات جميع الأطراف.

الحوار والتفاهم والعدالة الاجتماعية هي ركائز أساسية لأي مجتمع يسعى لتحقيق الاستقرار والتنمية. هذه المفاهيم ترتبط ببعضها البعض، حيث يعتمد كل منها على الآخر

لتحقيق التوازن والانسجام في العلاقات الإنسانية.

يعد مبدأ الحوار واحدا من المبادئ القرآنية المهمة الذي يؤدي دورا فاعلا في حركة المجتمع وتعايشه الإنساني، إذ نجد أن القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك المعنى وأكد عليه بقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٥).

إن وحدة الأصل الإنساني جوهر الحوار الحضاري ونقطة الوصول إلى الآخرين، وإن تعددت انتماءاتهم ما داموا مسالمين والالتقاء معهم يكون على الإيمان بمطلق الكرامة لبني البشر (السنيدي، ١٤٣٠هـ: ج١، ص٩١)، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الأعراف: ١٨٩)، وفي المعنى ذاته قال الأمام علي عليه السلام: (الناس صنفان: إما أخ لك في الدين، أو نظير لك في الخلق) (ابن ابي الحديد، د.ت: ج١٧، ص٣٢). فجمع الإمام علي عليه السلام بني آدم أجمعين باختلاف عقائدهم ومثلهم وانتمائهم وتفكيرهم في خندق واحد هو خندق الإخوة بشقيها الإخوة الدينية والإخوة الخلقية وهذه هي مبادئ الدين الإسلامي المحمدي الأصيل الذي بعث به نبي الرحمة وبشر به القرآن في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء: ١٠٧).

ومما يذكر في هذا المقام أن التفاهم مع الناس ودعوتهم إلى الخير إنما يكون بطرائق ثلاث: التفاهم بالحكمة والموعظة، والمجادلة بالحسنى، قال عز وجل: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (النحل: ١٢٥)، فالحكمة معرفة الأشياء بحقائقها وواقعياتها، ويقال لهذه المعرفة حق اليقين، ولا يحصل بالتعليم ولا من أفواه الرجال، بل موهبة من الله تعالى. والموعظة معرفة الأشياء بآثاره، ويسمى عين اليقين، والحديث في هذا المجال يشير إلى الهداية، وآلة تحصيل هذه المعرفة القلب. والجدال الحسن: معرفة الأشياء بطريق الإخبار لا مكاشفة الحقائق وظهورها ولا بالآثار ويسمى علم اليقين (جمعة، ١٤١٧هـ: ص٢٣٨). فبهذه تتحصل الفائدة الحقيقية من الجدال والحوار وتلاقح الأفكار ليكون التأثير أعظم وأدق لدى المتلقي المعني بالحوار، وتحصل نتائج مثمرة تعود بنفعها للفرد والمجتمع.

ونجد أسلوب الحوار هو الأسلوب المتبع من قبل جميع الانبياء عليهم السلام ومن قبل النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم واهل بيته عليهم السلام في دعوة الناس إلى الدين الحق وترك العرب لمعتقدهم الجاهلي، تعلم المسلمون هذا النهج ومارسوه بواقعهم وللدفاع عن انفسهم فنجد الحوار الذي دار بين المهاجرين وبين النجاشي ملك الحبشة عندما حاولت قريش اعادت المسلمون المهاجرون إلى مكة دليلا على انتصار الكلمة الحسنى رغم وشاية وكذب قريش لملك الحبشة ومن أساليب الجدال الحسن ما دار بين بني هاشم وقريش حول انهاء المقاطعة التي التزمت بها قريش بعدما كتبوا وثيقة المقاطعة وعلى الرغم من تعدد روايات انهاء الوثيقة الا انني وجدت رواية عروة بن الزبير بن إسحاق نقلت أسلوب الحوار المتبع من قبل المسلمون لإنهاء الوثيقة وكذلك كان في الحوار والجدال برهان ومعجزة على نبوة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم وما آلت إليه حال الوثيقة حيث مزقتها حشرة الارضة ولم تبق من الوثيقة سوى كلمة الله (سبحانه وتعالى).

يُعزز حرية التعبير عن الرأي واحترام الآخر، وهو وسيلة لفهم وجهات النظر المختلفة وحل النزاعات بطرق سلمية والتفاهم، يساهم في بناء جسور من الثقة بين الأفراد والجماعات المختلفة في المجتمع، مما يقلل من سوء الفهم والتوترات والحوار البناء يقود إلى قرارات مشتركة وخلق بيئة تفاعلية تدعم التنوع الفكري والثقافي.

العدالة الاجتماعية أساس للحوار، عندما يشعر الأفراد بالمساواة والاحترام، يصبحون أكثر استعداداً للمشاركة في حوار بنّاء، الحوار الحر والتفاهم يضعان الأساس لإرساء العدالة الاجتماعية، والعكس صحيح. ومن هنا، يجب أن تكون هذه المبادئ جزءاً أساسيًا من سياسات الدول ومنهجيات التعليم والثقافة.

الأول. دور التسامح في تحقيق العدالة الاجتماعية

العدالة الاجتماعية تمنع أي نوع من أنواع التحيز أو التمييز ضد أي مجموعة و تدعم الاستقرار والتنمية. التسامح يُعزز بيئة تدعم تطبيق العدالة الاجتماعية، حيث يكون الأفراد مستعدين لقبول الآخر والمشاركة في بناء مجتمع متساوٍ و العدالة الاجتماعية توفر الأساس المادي والقانوني للتسامح، من خلال ضمان حقوق الجميع. عندما يتحقق التوازن بين القيمتين، تنخفض النزاعات الناتجة عن الفقر أو التمييز أو التعصب.

(رؤية متفهمة أو متحررة فكريا حيال العقائد والممارسات المغايرة أو المضادة لعقائد الشخص المتسامح وممارساته) (ملكيان، ٢٠١٣م: ص٤٣). ومن هنا نذهب إلى ان التسامح قوام السلم المجتمعي غير مفارق له فإن فارقه عدم، وإن سلب منه انتفى، ويمكن القول إن مجتمعا بلا رؤية متسامحة لا يمكن أن يسمى مجتمعا، وإنما هو جماعة عابرة، كجماعة عارضة في مركبة أجرة جمعت أفرادها مسافة طريق محدود ليس إلا تحت مظلة التسامح يمكن ترجمة إرادتنا للآخر المختلف في إيجاد فرصة ليشاركنا في فضاء الوجود الرحب، تلك المظلة التي بواسطتها نتفهم كونية الاختلاف ونقبل المختلف والاعتراف به، اي التسليم بحقه، فالاعتراف منطق التسليم بالحقيقة، وهو حاجة لكل إنسان على المستوى الفردي والجماعي والمجتمعي، ومن لم يتم الاعتراف بوجوده وبإمكاناته وبقضيته، سيكافح حتى النصر (حسين، ٢٠٠٤م: ص٢٠). وان تحقق الاعتراف بالآخر يكمن في الإيمان بحاجتنا إليه بغية سد نقصنا أو تصويب خطئنا. (إن أحد الأسباب التي تقف وراء غياب التسامح في حياتنا المعاصرة هو أنه يتطلب بدرجة أساسية - اعترافا ما بعدم اليقينية الأخلاقية واتخاذ موقف الشك نحو قيمنا ووجهات نظرنا، يجب علينا أن نعتقد بإمكانية خطا ما تؤمن به إذا كنا نريد فعلا أن نتسامح مع آراء الآخرين التي تتناقض مع وجهة نظرنا أو تؤذينا)، والتسامح بعد ذلك نوع توافق وانسجام مع الآخر يعمل على انصهار الذات في الآخر بما يعمل على تمثل منطق الوحدة الذي أبدعته الخالقية الإلهية، فضلا عن دفع الحراك المجتمعي إلى الأمام دائما ومنعه من التوقف عند عتبة الحاضر.

إن التسامح الذي جاء به الدين الإسلامي ومارسه رسول الله ﷺ هو إحدى وسائل ازدهار الحضارة الإسلامية، فقد خلق الله الناس مختلفين من حيث العقل والإرادة، وكان سلوك رسول الله ﷺ يؤكد على القاعدة التي جاء بها الإسلام ألا وهي التسامح، وأكد الدين الحنيف على ضرورة التحلي بمكارم الأخلاق؛ لأن الإنسان ما إن يتحلّى بحسن الخلق حتى تجده متسامحاً، إذ عد التسامح من أهم الأسس التي تساعد في بناء المجتمعات الإنسانية، وتعزّز من العيش المشترك والقدرة على التعايش بين مختلف المكوّنات المتغايرة، وكذلك إدارة الاختلافات بصورة صحيحة بما يثري المجتمع ويُسهم في تقدّمه وتطوّره وتنميته ورقيه. التسامح يجب ألا يقتصر على جانب دون آخر، أو فئة دون أخرى، أو مكوّن دون سائر المكوّنات، بل يجب أن يعم الجميع، ويتحوّل إلى ثقافة اجتماعية عامة.

وإن من أهم ما ينبغي أن نتعلمه من أهل البيت عليهم السلام، في صفاتهم العظيمة هو (التسامح)، وهو أن نواجه الأزمات والمشكلات بروح الأناة والتعقل، والعفو عند المقدرة، والهدوء الخالي من العصبية المذمومة والغضب، بحيث تبقي على الألفة والتعاون فيما بيننا بكظم الغيظ وضبط النفس وتجنب التعنيف. ولابد لنا من أن نشير إلى أن أهل البيت عليهم السلام كلّهم يتصفون بالحلم. إلا أن الظروف التي عاشها الإمام الحسن عليه السلام اقتضت وساعدت على بروز هذه الصفة في شخصيته بشكل أجلى وأوضح، فالإمام عليه السلام كان يواجه تشنجات واستفزازات كثيرة قابلها بالحلم والتسامح، فيجب أن نقرأ حلم الإمام الحسن عليه السلام بوصفه منهجاً في التسامح الاجتماعي، ونعمل على تأهيل المجتمع بهذه الصفة عنه عليه السلام: "اعلموا أنَّ الحِلْمَ زينة " (النوري، مستدرك الوسائل، ج١١، ص٢٦٣).

وقد حفلت حياة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام بالعفو و التسامح مع الصديق والعدوّ، بل الإحسان إليهم، ففي حادثة سقوط الإبريق من يد الجارية على رأس الإمام الكاظم عليه السلام وشجّه، فالجارية كانت موالية من شيعة الإمام عليه السلام وعلى أثر هذه الحادثة لم يعف الإمام عليه السلام عنها فحسب بل أحسن إليها وذلك بعتقها لوجه الله. فبالعودة إلى القرآن الكريم والعترة الطاهرة عليهم السلام والتمسك بهما وتهذيب النفس والغلبة على أهوائها ونبذ الأنا نصل إلى حبّ الآخر، ومن أراد القرب الإلهي فعليه بالعفو، قال تعالى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ (البقرة: ٢٣٧)، فمثلما يرجو العبد رحمة ربه وعفوه فلا بدّ من أن يكون هو متسامحاً مع الآخرين لينال رضاه وعفوه. ولا يمكن للمجتمعات قطف ثمار التسامح وتوظيفها في تحقيق العدالة الاجتماعية إلا بعد شيوع الوعي الديني وأتباع منهج القرآن الكريم والسيرة النبوية الشريفة اللذين يحثان باستمرار على العفو والتسامح والحلم وكظم الغيظ ونبذ الانتقام، قال تعالى: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٤) وقال جل جلاله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (فصلت: ٣٤).

التسامح والعدالة الاجتماعية هما من القيم الإنسانية العليا التي تلعب دوراً محورياً في تحقيق التعايش السلمي والتنمية المستدامة في أي مجتمع. عندما يجتمع التسامح مع العدالة الاجتماعية، يتحقق الانسجام بين مختلف شرائح المجتمع. التسامح هو القدرة على قبول الآخر واحترام اختلافاته، سواء كانت ثقافية أو دينية أو فكرية. إنه مبدأ يُشجّع على التفاهم

والتعايش السلمي بين الأفراد والجماعات ويلعب هذا التصور دورا هاما في تحقيق العدالة الاجتماعية.

التسامح يقلل من التوترات والصراعات الناجمة عن التنوع الثقافي أو الديني و يوجب التعايش بين الأديان والثقافات و يشجع على رؤية الاختلاف كقوة إيجابية وليس كتهديد و أيضاً يُعزز العلاقات الإنسانية ويُقوي الروابط الاجتماعية يخلق بيئة تسودها المساواة والاحترام، مما يمهد لتحقيق العدالة الاجتماعية. هذا الامر يساعد المجتمعات لإزالة الفوارق الاجتماعية و تحقيق تكافؤ الفرص في التعليم والصحة والعمل و عندما يشعر الأفراد أن حقوقهم مصونة، يتعاونون بشكل أكبر مع الدولة والمجتمع.

التسامح والعدالة الاجتماعية ليسا مجرد مفاهيم نظرية، بل هما أدوات لبناء مجتمع قوي ومتماسك. من خلال تعزيز التسامح كقيمة أخلاقية وتطبيق العدالة الاجتماعية كمبدأ قانوني، يمكننا تحقيق مجتمع مستقر يسوده الاحترام والمساواة.

الثاني: دور الإحسان في تحقيق العدالة الاجتماعية

الإحسان والعدالة الاجتماعية هما قيمتان مركزيتان في بناء مجتمع عادل ومتوازن. قيمتان جوهريتان، حيث جعلهما متلازمين في بناء المجتمع. الإحسان والعدالة الاجتماعية يشكلان منظومة متكاملة لبناء مجتمع متماسك ومستقر. إذا كانت العدالة الاجتماعية توفر القاعدة القانونية والتنظيمية، فإن الإحسان يضيف البعد الإنساني الذي يثري العلاقات بين الأفراد. تحقيق التوازن بينهما يُنتج مجتمعًا قويًا، تسوده القيم الإنسانية العليا. كل منهما يعزز الآخر، حيث تعمل العدالة الاجتماعية على ضمان المساواة في الحقوق والفرص، ويضيف الإحسان بُعدًا أخلاقيًا يعزز التراحم والرفق بين أفراد المجتمع. الإحسان يعني إتقان العمل والتصرف بفضل وإحسان تجاه الآخرين، وهو مفهوم يشمل العطاء المادي والمعنوي، ويقوم على العفو والرفق.

يلعب إحسان دورا هاما في توفير العدالة الاجتماعية للمجتمع الإسلامي ودوره في المجتمع، تعزيز الروابط الاجتماعية، من خلال تقديم المساعدة للمحتاجين والعطف على الآخرين و له أيضاً دور في سد الفجوات الاجتماعية وهو يخفف من آثار الفقر والتهميش عبر تقديم المساعدات والتكافل.

الإسلام دين العدل والإحسان قال تعالى في كتابه العزيز: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ (النحل: ٩٠)، فالإحسان فوق العدل، وذلك أن العدل هو أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، والإحسان أن يعطي أكثر مما عليه ويأخذ أقل مما له، فالإحسان زائد عن العدل. فتحري العدل واجب، وتحري الإحسان ندب وتطوع (الساري، ١٤٠١هـ: ص٢٤٥). فجمع في هذه الآية ما يتصل بالتكليف فرضا ونفلا، وما يتصل بالأخلاق والآداب عموما وخصوصا (الرازي، ١٤٢١م: ج٢٠، ص ٢٥٨). فلم يأمر الله تعالى بالعدل فقط، وإنما أمر معه بالإحسان بين الناس لكي يعيشوا بسلام واطمئنان. فبالإحسان يمكن تطويع النفس الإنسانية وترويضها مهما كانت متصلبة وعنيدة ومتجبرة ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة (الخازن، ١٣٩٩م: ج٧، ص٣١٢)، وذلك في فتح مكة إذ أمر سعد بن عبادة أن يدخل في بعض الناس، فقال سعد حين توجه داخلا (اليوم يوم الملحمة اليوم يوم تستحل الحرمة) فسمعها رجل من المهاجرين فقال: الرسول الله ﷺ اسمع، ما قال سعد بن عبادة، وما تأمن أن يكون له في قريش صولة فقال النبي ﷺ لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (أدركه بهذه الراية فكن أنت الذي تدخل بها فنادى علي عليه السلام: (اليوم يوم المرحمة اليوم يوم تحمى الحرمة) (ابن ابي الحديد، د.ت: ج١٧، ص٢٧٢). وفي ذلك يقول إمام البلغاء والمتكلمين علي بن أبي طالب عليه السلام: (ما استعبد الحر بمثل الإحسان إليه) (ابن أبي الحديد، د.ت: ج١٨، ص١٨٠)، فكل قلب يمكن استمالته بالإحسان والتألف إلى حد تشبيهه بالمملوك الذي يكون طائعا بين يد سيده ينفذ ما يأمره به، وكذلك يفعل الإحسان بالمحسن إليه، وبهذا تتماسك الأفراد وتبنى المجتمعات.

العدالة تقلل من الفوارق بين الطبقات الاجتماعية و تُشعر الأفراد بأنهم جزء من المجتمع ومصالحهم مصونة و تُقلل من النزاعات الناتجة عن التمييز أو الفقر و توجب التنمية المتوازنة والشاملة. إذا كانت العدالة الاجتماعية تُنصف الجميع وفق القوانين، فإن الإحسان يعبر عن الجانب الإنساني الذي يذهب إلى ما هو أبعد من الواجب و يساعد في تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال دعم الفئات الضعيفة أو المظلومة.

الثالث: دور المساواة في تحقيق العدالة الاجتماعية

المساواة هي البنية التحتية للعدالة الاجتماعية و بدون المساواة، لا يمكن للعدالة أن

تكون شاملة وعادلة. العدالة الاجتماعية تضيف بعداً أخلاقيًا على المساواة، بحيث تضمن ليس فقط المعاملة المتساوية ولكن أيضًا مراعاة احتياجات الفئات الضعيفة.

المساواة هي المفتاح لتحقيق العدالة الاجتماعية. من خلال المساواة، يمكن للمجتمع أن يحقق استقرارًا اجتماعيًا، ويوفر بيئة تضمن الكرامة والاحترام للجميع. إن تعزيز سياسات المساواة هو خطوة أساسية لبناء مجتمع عادل ومزدهر.

نص القرآن الكريم على وحدة الأصل الإنساني، وأن التنوع العرقي والقومي والديني والقبلي، هو ضمن هذا الإطار الواحد المشترك، وهو تنوع شاءته الحكمة الإلهية، لإثراء حياة البشرية، وتكامل مسيرتها. يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ...﴾ (الحجرات، الآية ٢٣). إنه نداء موجه إلى الناس كافة، وكلمة "الناس" مصطلح يعبر به عن اسم الجنس الإنساني، وهو مصطلح لا يقبل التجزئة والثنائية، كمصطلح أمة الذي يعني جماعة من الناس، وجمعه أمم، وكذلك شعب وجمعه شعوب، وكذلك مجتمع وجمعه مجتمعات، أما الناس فهو يشمل جميع البشر، وبذلك فلا مجال لتجزئته إلا على سبيل الإضافة، ولا صيغة للجمع فيه.

وأكد الرسول محمد ﷺ مبدأ المساواة في أكثر من حديث وموقف كقوله: (الناس سواسية كأسنان المشط) (الهندي، ١٤٠١هـ: ح ٢٤٨٢٢). وقال في خطبته بحجة الوداع: (أما بعد أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، ألا وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأسود على أحمر، لا لأحمر على أسود إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، ألا هل بلغت؟) قالوا: بلغ رسول الله، قال: (فليبلغ الشاهد الغائب، فرب مبلغ أوعى من سامع) (المنذري، د.ت: ج٣، ص٦١٢).

ويرى طه حسين في كتابه "الفتنة الكبرى": أن الإسلام إنما جاء قبل كل شيء بقضيتين اثنتين: أولاهما التوحيد وثانيتهما المساواة بين الناس. وكان أغيظ ما أغاظ قريشا من النبي ودعوته، أنه كان يدعو إلى هذه المساواة، ولم يكن يفرق بين السيد والمسود، ولا بين الحر والعبد، ولا بين القوي والضعيف، ولا بين الغني والفقير، وإنما كان يدعو إلى أن يكون الناس جميعا سواء كأسنان المشط، لا يمتاز بعضهم عن بعض، ولا يستعلي بعضهم على بعض (حسين، ١٤٠٠هـ: ج١، ص٢٣٩).

ومن آيات القرآن الكريم الدالة على سعادة الإنسان وحياته الطيبة قوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النحل: ٩٧)، فقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾ يدل على أن من يعمل الأعمال الصالحة ولا فرق في ذلك بين الألسن والقبائل والطوائف والمذاهب والطبقات الاجتماعية من رئيس أو مرؤوس ومن ملك أو رعية ومن صغير أو كبير ومن أبيض أو أسود فإنه يعمل صالحا بشرط أن يكون مؤمن بالمبدأ والمعاد وما بينهما من العقائد الحقة فإنه يجزي عن عمله في الدنيا بأن تكون له حياة طيبة وعيشا رغيدا وفي الآخرة بأن يكون له أجرا عظيما، جنات عرضها السماوات والأرض بأحسن ما كانوا يعملون. فميزان الحياة الطيبة إنما هو بكفتين: الإيمان والعمل الصالح. والعمل الصالح الذي يخلد بخلود النفس البشرية لو كان متجذرا في الإيمان، ويستقي ماءه من الإيمان بالله واليوم الآخر، فيتجلى فيه نور التوحيد وإلا فإنه في الغالب يكون مشوبا بالشرك والرياء وحب السمعة والإطراء والمدح والمنة والأذى (العلوي، ١٤٢٣هـ: ج٤، ص٢٧ -٣١)، فالأمة - بكل طبقاتها وأفرادها التي تحمل بين حنايا تاريخها المجيد روح الحضارة وواقع التمدن الحقيقي غير المزيف هي التي تعيش بعزة وكرامة وشرف و بتقدم وازدهار ويسعد أبناؤها في ظلالها الوارفة وفي دوحتها الغناء وواحتها الفيحاء.

بناء علي هذا يمكن نقول بان المساواة تُعد أحد المبادئ الأساسية لتحقيق العدالة الاجتماعية، حيث تضمن منح جميع الأفراد فرصًا وحقوقًا متساوية بغض النظر عن العرق، الدين، الجنس، الطبقة الاجتماعية، أو أي تمييز آخر. العلاقة بين المساواة والعدالة الاجتماعية وثيقة؛ فبدون المساواة، يصبح تحقيق العدالة الاجتماعية أمرًا مستحيلًا، لان المساواة تعني التعامل مع جميع أفراد المجتمع على قدم المساواة من حيث الحقوق والواجبات والفرص، وعدم التمييز لأي سبب كان و هذا اول قدم لتحقيق العدالة الاجتماعية. للمساواة انواع و منها المساواة القانونية مثل تطبيق القوانين بالتساوي على الجميع، و المساواة الاجتماعية و هي ضمان نفس الحقوق والخدمات الاجتماعية لجميع الفئات. المساواة تزيل التمييز و تمنع التحيز لأي فئة أو مجموعة على حساب أخرى، مما يعزز الانسجام الاجتماعي و هي تساعد على ضمان حصول جميع الأفراد على فرص متساوية

في التعليم، الصحة، والعمل. العدالة الاجتماعية تتحقق عندما يتمكن الجميع من الاستفادة من نفس الفرص دون عوائق تتعلق بالطبقة الاجتماعية أو النوع أو الدين و المساواة تجعل الأفراد يشعرون بقدرتهم على المنافسة العادلة في المجتمع. عندما يشعر الأفراد بالمساواة في الحقوق والواجبات، يزداد انتماؤهم للمجتمع ويصبحون أكثر استعداداً للمساهمة في تقدمه. المساواة تمنع ظهور النزاعات الناتجة عن الفجوات الاجتماعية. و من جانب آخر، المساواة تعترف بقيمة كل إنسان بغض النظر عن انتماءاته، مما يعزز شعور الفرد بكرامته ومكانته في المجتمع.

ويمكن ملاحظة دور المساواة في العدالة الاجتماعية في القوانين مثل وضع قوانين تحظر التمييز وتعاقب على انتهاك حقوق الأفراد و في التعليم المجاني، يضمن تكافؤ الفرص التعليمية للجميع و تكافؤ الفرص الاقتصادية، من خلال سياسات تدعم فرص العمل للجميع دون تمييز.

الخاتمة و نتائج البحث

وبعد أن ألقينا الضوء على ملامح الاحترام السلمي في التعامل مع الآخرين في ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية نخلص إلى النتائج التالية:

١. يرمي الإسلام إلى ترسيخ اعتقاد الإنسان بكرامته أيا كان دينه أو جنسه أو عرقه أو لونه أو معتقده قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء: ١٧٠)، وهذه الكرامة توجب لكل إنسان حق الرعاية والاحترام.

٢. يؤمن الإسلام بحرية الاعتقاد كونها إرادة ربانية جاءت لحكمة بالغة لا يعرفكنهها إلا الله تعالى ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ (البقرة: ٢٥٦).

٣. سلك القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة مع الآخر أسلوب السماحة والتعطف والترقق وفي ذلك تأسيس للتعايش الحضاري مع الآخر قال تعالى ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (العنكبوت: ٤٦)، ولا يفتنا الإشارة هنا إلى أن ﷺ لما

هاجر إلى المدينة وفيها أعداد كبيرة من اليهود، كان من أول ما عمله أقام بينه وبينهم ميثاقاً، تحترم فيه عقائدهم، وتلتزم فيه الدولة الإسلامية بدفع الأذى عنهم، على أن يكونوا مع المسلمين يداً واحدة على من يقصد المدينة بسوء، فطبق عليه الصلاة والسلام فضيلة التسامح منذ البذور الأولى لدولة الإسلام في المدينة.

٤. التعامل مع الآخر قائم على التعارف والتحاور وتبادل الخبرات لا الصراع و العنف قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (الحجرات: ١٣).

٥. أن تحقيق العدالة الاجتماعية يكمن في السلم الاجتماعي القائم على احترام حقوق الآخرين وتحقيقها بالاحترام المتبادل والاعتراف التام بالآخر بغض النظر عن دينه ومعتقده.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

١. ابن أبي الحديد. عبد الحميد بن هبة الله. (د.ت). شرح نهج البلاغة. تحقيق: أبو الفضل إبراهيم. دار إحياء الكتب العربية.

٢. ابن حبيب، ربيع. (د.ت). الجامع الصحيح. تحقيق: محمد إدريس و عاشور بن توفيق. بيروت: دار الحكمة ومكتبة الاستقامة.

٣. ابن فارس، أبو الحسين أحمد. (١٩٧٩م). معجم مقايس اللغة. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. بيروت: دار الفكر للطباعة.

٤. ابن قدامة، موفق الدين أبو محمد. (١٩٩٧م). المغني. الرياض: دار عالم الكتب للطباعة والنشر.

٥. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر. (١٤٢٠هـ). تفسير ابن كثير. تحقيق: سامي بن محمد. دار طيبة للنشر والتوزيع.

٦. ابن ماجه. محمّد بن يزيد. (د.ت). سنن ابن ماجه. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. بيروت، لبنان: دار إحياء الكتب العربية.

٧. ابن هشام. عبد الملك بن هشام. (١٩٩٠م). السيرة النبوية. تحقيق: عمر عبد السلام تدمري. بيروت: دار الكتاب العربي.

٨. البخاري، محمد بن إسماعيل. (١٩٨٧م). الجامع الصحيح المختصر. بيروت: دار ابن كثير.

٩. ترمذي، ابو عيسى. (د.ت). الجامع الكبير (سنن الترمذي). تحقيق: بشار عواد معروف. دار المغرب الإسلامي.

١٠. جاوى، محمد بن عمر نووي. (ت ١٣١٦هـ). مراح لبيد لكشف معنى القرآن المجيد. تحقيق: محمد امين. بيروت: دار الكتب العلمية.

١١. جمعة، عثمان. (د.ت). مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية. تقدي: م عبد الله بن عبد الكريم العبادي. القاهرة: مكتبة السوادي للتوزيع.

١٢. حراني، ابن شعبة. (د.ت). تحف العقول. مؤسسة النشر الإسلامي.

١٣. رازي الشافعي، فخرالدين محمد. (١٤٢١هـ). التفسير الكبير. بيروت: دار الكتب العربية.

١٤. ساري، عمر عبد الرحمن. (١٤٠١هـ). الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة. المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية.

١٥. سنيدي، فهد عبد عزيز. (١٤٣٠هـ). حوار الحضارات. (مازن صلاح، ناظر).

١٦. صالح بن حميد، صالح عبد الله حميد. (١٤٢٤هـ). تلبيس مردود في قضايا حية. الرياض: مكتبة العبيكان.

١٧. طبري، ابو جعفر محمد بن جرير. (ت٣١٠هـ). تفسير الطبري. مؤسسة الرسالة.

١٨. الطبري. محمد بن جرير. (١٤٠٩هـ). جامع البيان في تفسير القرآن. بيروت: دار الفكر. ط١.

١٩. طه، حسين. (١٤٠٠هـ). الفتنة الكبرى. قاهرة: دار المعارف.

٢٠. علاء الدين الخازن. (١٣٩٩هـ). لباب التأويل في معاني التنزيل. بيروت، لبنان: دار الفكر.

٢١. العلوي، السيد عادل. (١٤٢٣هـ). رسالات إسلامية. المؤسسة الإسلامية للتبليغ والإرشاد. قم: مطبعة النهضة.

٢٢. عمري، أكرم ضياء. (١٩٨٣م). المجتمع المدني في عهدة النبوة. إحياء التراث الإسلامي.

٢٣. الغزالي، محمد. (١٤٠٩هـ). التعصب والتسامح بين المسيحية والإسلام. القاهرة: دار التوزيع.

٢٤. الفرجاني، عمر احمد. (١٩٨٨م). أصول العلاقات الدولية في الإسلام. طرابلس - ليبي: دار اقرأ.

٢٥. اللحيدان، عبد الله. (١٤٢٠هـ). دعوة غير المسلمين إلى الإسلام. الرياض: مطابع الحميضي.

٢٦. معاش، مرتضى. (١٤٢٠هـ). حقيقة العلاقة بين ولاية الفقيه و الحرية. مجلة النبأ. ٤١.

٢٧. ملكيان، مصطفى. (٢٠١٣م). العقلانية والمعنوية – مقاربات في فلسفة الدين. (عبد الجبار الرفاعي وحيدر نجف، مترجمان). بيروت، لبنان: دار التنوير.

٢٨. منذري. أبو محمد، زكي الدين. (د.ت). الترغيب والترهيب. تحقيق: ايمن بن صالح بن شعبان. القاهرة: دار الحديث.

٢٩. الهندي، علاء الدين علي. (١٤٠١هـ). كنز العمّال في سنن الأقوال و الأفعال. تحقيق: بكري حياني. القاهرة: مؤسسة الرسالة.

٣٠. اليوسفي الغروي، محمد هادي. (١٤١٧هـ). موسوعة التاريخ الإسلامي. قم: مؤسسة الهادي.